

دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، ربيع ١٣٩٨، العدد الواحد والأربعون: صص ٨١- ١٠١

الإلتزام الإجتماعى فى شعر نيما يوشيج ومحمد الماغوط

مريم يعقوبى*

تاريخ الوصول: ٩٧/٩/١

رحيمه جولانيان**

تاريخ القبول: ٩٧/١٢/٢٢

الملخص

محمد الماغوط شاعر وأديب سورى أبداع فى كتابة قصيدة النثر، وهو أحد روّادها فى الشعر العربى المعاصر عمل فى تطويرها وتنميتها حتى جعلته فى قمة هذا النوع من الأدب. شهد الماغوط منذ نعومة أظفاره معاناة الأمة العربية وآلامها وخلال سنوات مراهقته فقد شهد احتلال فلسطين والأوضاع المتردية لدول المنطقة. تركت هذه الأوضاع فى شخصيته نوعاً من روح التمرد والرفض بشكل أثرت فى اختياره لنوع خاص من الشعر ألا هو قصيدة النثر للتشابه الموجود بين الوجهين، حيث إن التمرد على قوانين الشعر وعدم مراعاة الوزن والقوافى تعدّ من أهم خصائص قصيدة النثر. كان ناقداً اجتماعياً وله آراء نقدية حول أوضاع العرب ليصف نقاط ضعفهم أمام القوى المتغترسة لاسيما إسرائيل. يدعو إلى الوحدة والمقاومة على حد سواء ويظهر فى أدبه شعراً كان أم نثراً أم قصة أم مسرحية عنصر الوحدة عنوانه المقاومة. يرى البحث أن الشعر والأدب الاجتماعى يمثلان الإنسانية بحد ذاتهما، والمطالبة بالحرية ومعارضة الديكتاتورية والأصالة الإنسانية، هى من أهم عناصر الاتجاه الاجتماعى والإنسانى فى شعر كل من نيما يوشيج ومحمد الماغوط.

الكلمات الدليلية: نيما يوشيج، محمد الماغوط، النزعة الإنسانية، الشعر المعاصر، الشاعر الاجتماعى.

* طالبة الدكتورا بجامعة آزاد الإسلامية، فرع آبادان.

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية، فرع آبادان.

الكاتب المسئول: رحيمه جولانيان

المقدمة

الالتزام فى الأدب هو مشاركة الأديب الناس فى همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية والوقوف بحزم فى وجه ما يتطلبه ذلك إلى حد إنكار الذات فى سبيل ما يلتزم به الأديب شاعراً كان أم كاتباً. والالتزام «هو اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان، لا لمجرد تسليية غرضها الوحيد المتعة والجمال» (وهبة، ١٩٧٤م: ٧٩). بهذا يكون الشاعر صاحب رسالة فيلزم نفسه على إيصال تلك الرسالة أياً كانت الظروف. وفى عبارة أخرى «يقوم الالتزام على الموقف الذى يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمل كامل التبعية التى يترتب على هذا الالتزام» (أبو حاقه، ١٩٧٩م: ١٤). وحتى يكون الأدب صادقاً، لا بد أن يتكلم عن الواقع الذى يعيشه الأديب، والظروف التى تحيط به وتؤثر فى نفسيته، فعندئذ تخرج الكلمات بكل صدق وتنتقل مباشرة إلى فكر القارئ ووجدانه.

وقد ظهر الالتزام فى الأدب الحديث بسبب الاستعمار الواقع على الشعوب العربية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وانعكس فى الشعر حيث أصبح من مسؤولية الشاعر أن يلتزم بمعالجة قضايا وطنه ويكون للأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة مساهمة فى عملية التغيير التى يسعى إليها الإنسان المعاصر، وهو يلتزم بكل القضايا التى يعانى منها المجتمع ويحاول أن يجد لها حلاً فاعلاً ومؤثراً بإمكانه أن يسهم فى القضاء على كل أشكال البؤس وألوان التخلف. أدرك الشاعر المعاصر أهمية المسؤولية التى تقع على عاتقه شعوراً منه بخطورة المرحلة التى يمر بها العالم العربى. فصفات الشاعر الملتزم الانفعال والتأثر والتأثير لكونه فرداً من ذاك المجتمع أو الأمة.

ومن مظاهر الالتزام، تبنى الشاعر قضية اجتماعية وسياسية ومحاربة كل أشكال الاستعمار والاستبداد والظلم. كما يتلخص أهداف الشعر الملتزم فى محاولة زرع الأمل والتفاؤل بمستقبل أفضل، والارتقاء بهذا المجتمع الذى هو بصدد معالجته إلى واقع أفضل ومستقبل مشرق جاعلاً من الأدب رسالة إنسانية سامية هادفة تخدم البشرية جمعاء.

يتطرق هذا البحث إلى دراسة الالتزام فى شعر كل من نيمى يوشيج ومحمد الماعوط وهما شاعران من إيران وسوريا ينتميان إلى النزعة الواقعية. فيظهر الالتزام بكل أوصافه وقضاياها وأهدافه فى شعرهما بشكل ملحوظ مع اختلاف فى تناول تلك القضايا وأشكالها.

أسئلة البحث

١. هل الإلتزام قضية إنسانية واجتماعية علي حدٍ سواء؟
٢. ما هى أبرز السمات فى التزم كل من يوشيج والماغوط؟
٣. كيف تناول الشاعران قضية الإلتزام فى شعرهما ومن أى زاوية، اجتماعية سياسية وطنية أم اجتماعية إنسانية بحتة؟

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج المقارن فى دراسة الإلتزام الاجتماعى فى شعر كل من نيما يوشيج ومحمد الماغوط من الأدبين الفارسى والعربى حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فى تناول قضية الإلتزام الاجتماعى فى شعرهما.

خلفية البحث

لم تكن هناك دراسة محددة حول الإلتزام فى شعر الماغوط، فى حين أن شعره قد امتاز بجميع الخصائص والسمات التى بيّناها أنفاً فى البحث حول الإلتزام وقضاياها بجميع أشكاله. ومن أهم البحوث حول الماغوط: «ديناميكية العلاقة بين نزعة الماغوط الاغترابية وقصيدته: الهوية الإلكترونية» لعباس گنجعلى وسيد مهدي نودهى، مجلة دراسات فى اللغة العربية وآدابها، ربيع ١٣٩٦ش، رقم ٢٥. وهى تتناول نزعة الماغوط الاغترابية التى تكشف عن اتجاهه الفكرى والنفسى فى نفس الوقت. «لغة الماغوط الشعرية» لعلى گنجيان خنارى وخديجة براتى كاشانى، دراسات الأدب المعاصر، ربيع ١٣٩٣ش، السنة السادسة، العدد ٢١ (١٦ صفحة- من ٢٥ إلى ٤٠) وهى كما يبدو من عنوانها تتناول أهم الظواهر اللغوية لدى الشاعر العربى محمد الماغوط. وما إلى ذلك. وفيما يخص الشاعر نيما يوشيج فهناك دراسة تحت عنوان «العناصر الاجتماعية والإنسانية فى شعر نيما يوشيج» لعلى محمدى ونعمت الله پناهى مجلة نامه پارسى، رقم ٤٨ و ٤٩، سنة ١٣٨٨ش و«الرمزية الاجتماعية فى الشعر الإيرانى المعاصر» لسيروس شميسا، على حسين پور، مدرس العلوم الإنسانية، السنة الخامسة، رقم ٢٠، سنة ١٣٨٠ش. وفى مجال المقارنة

فليس هناك دراسة تتناول الشعارين إلا أن هناك دراسات تناولت المقارنة بين *الماغوط* وأحمد شاملو وهي خارجة عن نطاق هذا البحث.

الالتزام الاجتماعي في شعر محمد الماغوط ونيما يوشيج

يمكن اعتبار المقاومة أحد العناصر المكوّنة لبقاء الإنسان، فمنذ بدء الحياة ويكابد الإنسان من أجل البقاء مع الطبيعة وأخذ الصراع بينهما يستمر لمواصلة الحياة. بهذا الصراع يتطور الإنسان وتزدهر مواهبه شيئاً فشيئاً. فى غضون تهجم القوى المهمنة والمستعمرة على دول أخرى ونهب ثرواتها الوطنية والطبيعية، يتشكل نوع آخر من أشكال المقاومة إزاء المعتدين والغزاة حفاظاً على بقاء الهوية الوطنية.

محمد *الماغوط* شاعر وكاتب سورى تعرّف على معاناة الأمة وآلامها منذ نعومة أظفاره وكان يراقب خلال سنوات مراهقته كل التحركات فى المنطقة منها الاحتلال الفلسطينى وتردى أوضاع دول المنطقة، وبالتالى بدأت علامات التمرد فى الظهور بداخله متزامناً مع تشكيل شخصيته حتى تجلى ذلك فى اختياره نوعاً من الشعر يعدّ العزوف عن قواعد الشعر وعدم مراعاة الوزن والقوافى فيه من أهم خصائصه وهو قصيدة النثر.

هو من عاش وعاصر توجّع الأمة العربية وشاهد أسوأ الحالات لدول عربية فى المنطقة. وهو كناقذ اجتماعى انتقد معاملة العرب وسياستهم وكذلك صمتهم وضعفهم أمام القوى المتغترسة لاسيما إسرائيل. ويرى *الماغوط* أن الحل الوحيد للخلاص من هذا الوضع، تحقيق الوحدة والمقاومة بين الأمة العربية. كما يلفت انتباه القارئ إلى هذه القضية بالتعبير عنها فى أعماله بطرق مختلفة. و*الماغوط* باعتباره شاعراً عربياً بل كشاعر إنسانى يحس بالألم الإنسانى ويعتبره وجعه الذى يتألم به، يستعدّ للتضحية ويطلب من الأمة العربية المتألّمة أن يرسلوا معاناتهم إليه، لإنقاذهم وتخفيفاً لمعاناتهم ليساهم فى تلك المحنة: أيها السجناء فى كل مكان / ابعثوا لى بكل ما عندكم / من رعب وعويل وضجر أيها الصيادون على كل شاطئ / ابعثوا لى بكل ما لديكم / من شباك فارغة ودوار بحر / أيها الفلاحون فى كل أرض / ابعثوا لى بكل ما عندكم / من زهور ورق بالية / إلى عنوانى... فى أى مقهى / فى أى شارع فى العالم.

هو لا ينتمى إلى أرض أو وطن، وطنه هو الأرض فى أى مكان. استاء من الأوضاع فى لبنان والاحتلال الفلسطينى. فينتقد العرب الذين خضعوا للإذلال والخنوع ليشاهدوا عن

قرب احتلال القدس. من خلال دراسة أعمال *الماغوط*، يمكن ملاحظة العديد من الموضوعات التى تخص الوطن العربى بما فى ذلك التحريض على مقاومة المحتلين لإنقاذ الوطن العربى.

تظهر فى أعمال نيما الإرادة والخيار الإنسانى لتحديد مصيره إطرأً لذلك. بينما فى الأدب القديم قلّما يلاحظ التطرق إلى دور الإنسان فى تغيير حالات التعسف أو روح الاستغلاية. يعطى نيما لأجزاء الطبيعة وعناصرها لونا اجتماعياً وإنسانياً ويمزج ذاته مع تلك العناصر بطريقة تجعل العلاقة بين الشاعر وعناصر الطبيعة كذاته وكيانه. يمكن إطلاق الشاعر الاجتماعى على نيما يوشيج بمعنى دقيق للكلمة لخلقه أعمالاً فنية رائعة وأشعاراً تمتاز بخلفية اجتماعية وإنسانية. فأجواء الشعر الفارسى فى قصائد نيما تتعد عن "الأنا الفردية" وتقترب من ساحة "الأنا الاجتماعية والإنسانية"، «حوّل نيما ضمير "الأنا المتكلم" فى الأدب التقليدى إلى ضمير "هو" الغائب أى الإنسان الجزئى والاجتماعى الملموس. ونيما الذى كان يعرف مجد الشعر القديم وسموه الرفيع، كان يرى جميع الشعراء فى منزلة عالية وشموخ باسق. من جهة أخرى تعرّف على الأزمة العقلية فى الشعر التقليدى القديم وكان من المفروض أن يعمل على إعادة بنيته أمام جمهوره المتحمس. ومن جهة أخرى كان عليه أن يتحدث فى شعره عن التسامح والصفح فى مجتمع تقيده الديكتاتورية ولا يحلم حتى بالديمقراطية. وكان ضمير "أنا" المتكلم فى الأدب التقليدى خلال سنوات عديدة تمثل الذكورية المتسيطرة المتسلطة المألوفة لدى الجميع. وبعد تأييده لإشكالية الموضوعية المادية، كان ينبغى عليه أن يستبدل "الأنا" بـ "هو"، وهذا البديل لم يحل إشكالية الشعر برمته فحسب وإنما أصبح بالإمكان أن يلعب هذا البديل دوراً اجتماعياً فى ضوء التحلى بروح الصبح والتسامح» (جوركش، ١٣٨٥ ش: ٩).

وكما عبّر أحد نقاد الشعر المعاصر أن اللافت للنظر هو أن كل ما أنشده نيما فى قصائده حول الأنا الفردية، يمكن تطبيقه على الأنا الاجتماعية والإنسانية أيضاً، والقصد هنا الرومانسية النيمائية وهى رومانسية اجتماعية إنسانية فى الوقت نفسه وكما يقول الدكتور جعفرى: «إن النزعة الرومانسية الثوروية والاجتماعية كامنة فى أعماق فكر نيما وفنه» (جعفرى، ١٣٧٦ ش: ٢٨٠). نتوصل إلى هذا المفهوم بالذات عندما نقارنه مع الكمّ الهائل من الأدب الفارسى القديم ومن ثم ندرك هذا الاختلاف عن قرب، لأن الغالبية العظمى

من الشعر الغنائي الكلاسيكي الفارسي يفتقد للعنصر الاجتماعي والإنساني كما أن جميع الأشعار في تلك الحقبة تدور حول الأنا الفردية.

حياة الماغوط السياسية والاجتماعية

بدأ الماغوط في الأربعينيات نشاطه في الحزب القومي السوري الاجتماعي، لكن لم يلبث حتى يملئه بسرعة يقول الماغوط: «كنت مرافقاً وكان الالتحاق بالحزب كالتقاليد الاجتماعية مثل الزواج لا بد للإنسان أن يلتحق بالحزب ولكن سرعان ما شعرت بالتعب والإرهاق من الخطابات والآراء والأفكار». ويقول في مكان آخر: «أنا فوضوى الطبع ولا أنتمى لشيء بالمنطق كما لا أتركه بالمنطق وحرمانى جعلنى أشعر بالحاجة إلى الالتحاق بالحزب وهو يعتبر نوعاً من الدعم لمن لا ثروة له ولا مكانة اجتماعية» (آدم، ٢٠٠١م: ١٣٤). تبدأ حياة الماغوط السياسية والاجتماعية منذ قبعه في السجن. وفي السجن شاهد عن قرب الاضطهاد والظلم الذي كان يعاني منه الشعب. وفي بداية العقد الخمسين، طبع الماغوط مقالاته في جريدة "البناء" ومجلة "المضحك المبكى" و"ألف باء"، وفي هذه الفترة التي كانت بعد الحرب العالمية الثانية ظهر هناك العديد من الكتاب الذين نادوا بالحرية والاستقلال وكان الماغوط في طليعة هؤلاء الكتاب. كما أنه كان رئيس تحرير مجلة الشرطة في دمشق وكان ينشر انتقاداته في صفحة كاملة تحمل عنوان "الورقة الأخيرة". وفي المنصف الثاني من من السبعينيات عمل الماغوط في جريدة "تشرين" بالمشاركة مع الكاتب السوري زكريا تامر. وفي عام ١٩٧٨م كان يكتب موضوعاً في صفحة من مجلة «أليس في بلاد العجائب»، كما كانت تُنشر له مقالة في كل أسبوعين في مجلة «الوسط» اللندنية (عمار المير، ١٩٩٢م: ٢٤).

أثارت كتابات الماغوط الثرية بالحس الوطني والقومي إعجاب الشعراء والكتاب المعاصرين له. وقد كشف في كتاباته الانحطاط الأخلاقي لحكام المنطقة واصفاً معاناة المجتمع بلغة تشوبها السخرية، كما يُعتبر أحدَ الفكاهيين البارزين في العالم العربي. وعرفت لغته الصريحة ولحنه المكشوف في المسرحيات السياسية الساخرة بين نظرائه واستحسنها الجميع خاصة الجمهور وعامة الناس. ويعدّ نقده للأوضاع السائدة في العالم العربي وسخطه منها، من أروع ما يمكن أن يقوله أديب عربي في الكلام الجارح واللاذع.

يرى الماغوط أن الشعر خير ملجئ له، يلجأ إليه حين يشعر بالألم والتوجع والتشرد دون الالتفات إلى اللغة أو الأسلوب أو القارئ أو الناقد. وهو فى هذا كالإنسان البدائى الذى يفر من الحيوانات المفترسة لاجئاً إلى الشجرة دون الالتفات إلى نوع الشجرة التى يلجأ إليها (صويلح، ٢٠٠٢م: ٣٤). وفى النثر للماغوط أسلوب خاص به أيضاً. يمكن الإشارة إلى كتابه المثير للجدل "سأخون وطنى" على عكس ما يدل عنوان الكتاب، فبعد قرائته يتبين جلياً أنه ليس بصدد خيانة الوطن بل إن كلماته فيه تدلّ على أنه شديد الحبّ للوطن كما يظهر فيه تعلقه القوى بوطنه.

الماغوط والمقاومة

منذ أن كان الماغوط طفلاً وهو يرى العدوان على وطنه الذى ولد فيه، وفى أيام شبابه شاهد الاحتلال الغاشم على فلسطين بأمر عينيه. من هنا أصبح النضال جزءاً لا يتجزأ عن كيانه والتضحية سمة بارزة فى شخصيته. وهو كإنسان مطالب بالحريّة لا يستطيع أن يشاهد اضطهاد المستعمرين وسيطرتهم على بلاده. لهذا يدعو الشعب فى أعماله إلى مكافحة الظلم والاضطهاد. تبدأ هذه الدعوة عندما يكون قد أدى رسالة كقوة بادرة ولكنه غير قادر لوحده أن يردع كل القهر والتعسف فيشكو من إخوته فى التعبير عن تحقيق أحلامه:

يا إخوتى

لقد نسيت حتى ملامحك

أيتها العيون المثيرة للشهوة

أيها الله

أربع قاراتٍ جريحة بين نهديّ

كنت أفكر بأننى سأكتسح العالم

بعينى الزرقاوين، ونظراتى الشاعرة

(الماغوط، ٢٠٠٦: ٥٢)

ويريد من لبنان أن تتبعه صيحات النساء وتسير معه فى هذه الاتجاه:

لبنان .. يا امرأةً بيضاء تحت المياه

يا جبلاً من النهود والأظافر
إصرخُ أيها الأبيكم
وارفعُ ذراعك عالياً
حتى ينفجر الإبط، واتبعني...

(م.ن: ٥٢)

هو من أدرك آلام البشر وأحس بها فيرفع صيحته متجاوزاً حدود الوطن والمنطقة والقارة بأسرها، ويدعو جميع المضطهدين في العالم للكفاح والنضال. لم تكن الشهرة والاعتزاز بالنفس من هواجسه، ولكنه يعتبر نفسه كنبى صاحب رسالة من واجبه تخلص المجتمع من الظلم والتعسف. فيبلغ رسالته عبر كتاباته، شعراً كان أم مسرحية أم مقالة:

فأنا نبى لا ينقصنى إلا اللحية والعكاز والصحراء
ولكننى سأظل شاكى السلاح
هكذا خلقنى الله
سفينةً وعاصفة
غابةً وخطاباً

زنجياً بمختلف الألوان كالشفق، كالربيع

يرى الماعوط نفسه - مرة - سفينة نجاة للمضطهدين والمقهورين وإعصاراً للظالمين مرة أخرى، فهو المخلص المنجى من جهة، والمدمر الجارف من جهة أخرى. كما أنه يصنّف نفسه فى صفوف شعراء المقاومة ولكن ليس بطريقة شعراء المنابر على حد قوله. وما لم يحققه عبر الشعر فيحققه عبر مسرحية أو مقالة أو سيناريو معبر. كما يعتقد أن جميع أعماله الأدبية تمثل صرخة ضد الظلم ونصرة للمضطهدين:

مثلت أشهر المسرحيات الكلاسيكية ..

وأفلام ومسلسلات ..

وكتبت القصة والرواية

ونمت الشعر

وترجمت وأضفت وحذفت

ولم أعرف مهنة إلا وزاولتها

ووجهة إلا وقصدتها
وبرة حائرة إلى إله الفصول والثوابت والمتغيرات
أدركت أننى لن أكون إلا خريفاً للطغاة
وربيعاً للفقراء ..

(الماغوط، ٢٠٠٦: ٣١٠-٣١١)

وفى قصيدة «بكاء السنونو» يدعو الشاعر الجمهور داعياً إياهم للثورة فيقول:
يا شعبي احتضنى
أنت الأب الحكيم
وأنا الطفل الضائع
أنت السيل الجارف

(الماغوط، ١٩٩٨م: ٢٢٤)

ثم انشغل الناس بشؤونهم وأمورهم الصغيرة ونسى بعضهم بعضاً. يشعر الماغوط بالذنب والقصور فيقول حول ضرورة الوحدة والحضور فى ساحة الكفاح والنضال والمواجهة الحقيقية لدحر العدوان والأعداء:
كلانا أساء للآخر
ولنجرح أصابعنا
وليشرب كل منا قطرة من دم الآخر
ولنتأخى ..
ولنمض وحيدين
ضد الزمن، ضد العاصفة

(م.ن: ٢٢٤)

العناصر الاجتماعية والإنسانية فى شعر نيما يوشيج

يعدّ عنصر التوعية والتنوير من السمات البارزة فى الشعر الاجتماعى بصورة عامة وشعر نيما بالذات يمتاز بهذه السمة. وكان نيما خلافاً للشعراء الكلاسيكيين الذين كانوا من مؤبدي البلاط والقدرة، فهو كان مثقفاً بثقافة اجتماعية وسياسية. وفى قصيدته المعروفة

«بيتي غائم» ينتقد الفنانين والشعراء الجاهلين بأحداث المجتمع والعصر الذى ينتمون إليه:

بيتي غائم
وعلى الأرض سحابة
وفى منحدر العقبات، من هو متهشمٌ ومتقوّض ومترنح
تهبّ الرياح ..

يا عازف الناي، يا من سارح فى العزف، من أين أتيت وإلى أى زمن تنتمى؟

(يوشيج، ١٣٨٣ش: ٧٦١)

إن السطر الأخير يمثل الشعراء والفنانين التقليديين الذين لم تكن أشعارهم اجتماعية وكالشعراء الكلاسيكيين الذين يقومون بخلق الفن والشعر، وهم يجهلون الأوضاع الإنسانية والاجتماعية. من هذا المنطلق، فإن شعر نيما كله كفاح من أجل الوصول إلى حالة إنسانية واجتماعية منشودة، فهو فى أشعاره كرائد «توعوى بامتياز ويختلط مع الجميع والفرق الوحيد بينه وبين الآخرين أنه أدرك الوعى مبكراً وهذه الميزة لم تكن لتبعده عن معاصريه، وإنما هى التزام وواجب فرضه الشاعر على نفسه وليس نتيجة الشعور بالتفوق، ذلك لأن أساس هذه النزعة إنما هى بالتضامن والانسجام مع الآخرين» (مختارى، ١٣٧٨ش: ٢٧٣). والموضوع الآخر هو أن الشعر والأدب الاجتماعى يحمل فى طياته النزعة الإنسانية. بناء على هذا، فإن الشعر الملتزم ذات الطابع الاجتماعى لا يمكن أن يتجاهل الجوانب الإنسانية بل يتشابه معه، وشعر نيما من هذا النوع ويسير نحو هذا الاتجاه (محمدى، ١٣٨٨ش: ٩٣).

الرمزية الاجتماعية فى شعر نيما يوشيج

يشير زررين كوب إلى الرمزية الاجتماعية فى شعر نيما معتبراً أنها «نوع من أنواع الشعر النيمائى بمضمونه الاجتماعى والفلسفى، متمسك بالوضوح، هو شعر يهدف إلى رفع مستوى الفهم والوعى الفنى والاجتماعى ويحمل فى طياته رسالة اجتماعية وإنسانية .. وله صلة بمشاعر وأحاسيس القارئ من جهة وإدراكه وفكره من جهة أخرى، ويريد أن يكون القارئ على دراية تامة بالأحداث التى تحيط به، بناء على هذا ترى كل ما يتعلق بالشخص

الواحد يزول ويبقى التركيز على الاجتماع وحده... فالشعر الملحمى الحديث هو من النوع الاجتماعى ومضمون شعر نىما الذى أراد أن يرفع مستوى الشعر إلى قمته «زرين كوب، ١٣٥٨ش: ١٢٣ و١٢٤). فتمثل قصيدة «العنقاء» اتجاه الرمزية الاجتماعية، فقد شق نىما طريقه إلى الشعر متممناً فى مضامينه أياً كانت سياسية أم اجتماعية بلغة رمزية حديثة حتى كتب قصيدته «العنقاء»، فهى أول قصيدة رمزية أنشدها عام ١٣١٦ش وبها خاض تجربة جديدة فى مجال الشعر والأدب، ويواصل طريقه فى هذه التجربة ويقوم بإنشاد قصائد على هذا المنوال وهى «آى آدمها» (أيها الناس)، «ناقوس»، «بادشاه فتح» (الملك الفاتح)، «مهتاب» (ضوء القمر)، وما إلى ذلك (شميسا، ١٣٨٠ش: ٣٤). والعنقاء هنا فى هذه القصيدة على خلاف العنقاء فى الشعر الكلاسيكى فهى تمثل الشاعر نفسه وأى شاعر من نوعه. وفى قصائده «طائر الحزن» و«الطائر التمثال» و«الغراب»، فهى طيور كالعنقاء تمثل الشاعر نفسه. إن تطور الرمزية منذ الشعر الكلاسيكى وحتى فترة نىما يشكل أحد سمات شعره وجزءاً لا يتجزأ عنه. فنىما برمزيته الاجتماعية والإنسانية منح الشعر حلة جديدة عمقت فنه فى الشعر المعاصر عرف فيما بعد بالشعر النيمائى.

أصل الإنسانية

كان نىما ذا طبع سليم، ملتزماً والالتزامه قبل أى شىء يتعلق بالإنسان والإنسانية، فهو يميل إلى النزعة الإنسانية بطابعها المادية يشير الدكتور حميدان إلى هذه الميزة فيقول: «إن رؤية نىما بصورة عامة علمانية وذات نزعة إنسانية، يتضح هذا من خلال أشعاره وأعماله ورسائله» (حميدان، ١٣٨٢: ٤٥). لم يتحمّل نىما معاناة آلاف الناس يعيشون فى عصره ومشاهدة مأساتهم فى كل مكان بعينيه النافذتين، وأن يتجاهلهم بكل بساطة من دون مبالاة كمعظم الشعراء الكلاسيكيين وشعراء عصره. فقد شكل الدفاع عن الحقوق المادية والاجتماعية الإنسانية أساس شعره وجميع مؤلفاته.

قدّم نىما شخصية دانيال النبي كرمز للشخص المناهض المتطلع للحرية الذى لا يقبل الظلم وفى إحالة أسطورية يحوّل هذه الشخصية إلى الملك دارا:

ملك الملوك دارا جالس مبهتجاً

على عرشه المبجل، والمحاربون

من حوله فى كل صوب وحذب
ودانيال النبى باقى على حاله
يدعو ربه خاراً فى سجوده

(يوشيج، ١٣٨٦: ٣٣٧)

يقول نيما فى إحدى مذكراته «أن المعاناة تشكل أهم مواضيع شعره والمتكلم الحقيقى فى رأيه ينبغى أن يكون كذلك. فهو يقول الشعر لنفسه وللآخرين والكلمات والوزن والقوافى إنما هى أدوات يضطر أحياناً إلى تغييرها لكى تكون متناغمة مع مأساته ومأساة الآخرين» (أرين پور، ١٣٧٤، ج ٣: ٥٨٢).

تمثل الإنسانية قيمة أساسية لنيما، قد تحدث محمد مختارى أحد النقاد البارزين بالتفصيل حول القيمة الإنسانية فى شعر نيما: «يمثل الإنسان منطلقاً للاتجاه العقلانى ومنشأ الفكر والإحساس لدى الشاعر نيما سواء إن تحدث عن نفسه أو عن الآخرين. وقلماً يتحدث الشاعر عن نفسه، والمفهوم الاعتيادى للعلاقة الإنسانية فى ذاكرته، هو عبارة عن "أنا"، "أنت" و"هو"، بينما لم يكن "الآخر" بمعناه المادى والجزئى للكلمة حاضراً فى الشعر والأدب الكلاسيكى، ذلك لأن صورة الإنسان فى الشعر والأدب الكلاسيكى يتجه نحو الإجمالية» (براهنى، ١٣٨٠ش: ٧٩٤).

وفى عبارة أخرى يقول الدكتور كاووس حسن لى: «الإنسان فى أدبنا القديم هو صورة الإنسان ككل فقبل أن يكون شخصاً فهو نوع، والإنسان فى الشعر المعاصر هو إنسان مادى وحديث» (حسن لى، ١٣٨٣ش: ٤٣).

يمكن ملاحظة النزعة الإنسانية بطابعها المادى فى هذه الأبيات:

أنا لا لا أتألم لجسم أحمله
وإنما قد أرهقتنى متاعب التمرد، أعرف لماذا
ولماذا كل شريان فى جسمى متصلب ونار السوط
يهبط ملتهباً مشتعلأً
فى كل لحظة فى جسمى
وجسمى من الناس والناس جسمهم منى

(يوشيج، ١٣٨٣: ٧٥٨)

السطر الأخير يعبر عن حالة الاتحاد من النوع المادى بينه وبين الجمهور، فهو يعبر عن هذه الحالة بـ "جسمى من الناس والناس جسمهم منى". وهذا يدل على الإلتزام العميق والإنسانى، فهو اندمج فى الآخرين ووحد نفسه معهم يقول فى هذا الصدد:

لا قيمة لهذه الدنيا الفانية

إن لم تكن نافعة للآخرين

إن لم تزداد نفعاً

لآلاف الأشخاص

نتيجة أضرار يسببها

حفنة قليلة من الناس

فمن الأجدر ألا تكون

(م.ن: ٥١٩)

يستشف من هذا الكلام روح الفناء والتضحية، وبهذا قد عمق نىما الرسالة الاجتماعية والإنسانية فى الشعر والأدب. وقد شهد الشعر والأدب الاهتمام بالإلتزام الاجتماعى فى العهد الدستورى من قبل، إلا أن الحديث هنا حول علاقة الشعر والأدب بموضوع الإلتزام بحد ذاته.

يبدو أن قصيدته المعروفة «مهتاب» (ضوء القمر) هى تعبير عن التزامه الإنسانى يقول فيها:

يقطر ضوء القمر

يلوح ليلاً

ليس هناك من لحظة تزيل النوم عن أحد، ولكن

الحزن على هذا الرقاد

سرق النوم من عيونى الباكية

والقلق ساهرٌ معى

يطالبنى بصباح مشرقٍ

لعلى أتى بخبر لهذا القوم المنهزم

وفى كبدى شوكة

تنكسر من مشقة هذه الرحلة

(م.ن: ٦٦٣)

إن نيما كان ملتزماً لتنقية أجواء تكون الحواجز فيها قد زالت نهائياً ولا حواجز تعكّر صفو تلك الأجواء، فينشد: "الحزن على هذا الرقاد يزيل النوم عن عيوني الباكية"، فهو يقول إن سبات الغفلة والجهل قد أخذ عنى الهدوء والاستقرار. ومثل هذا الشاعر والأديب المفكر والحريص على إنسانيته لا يمكن أن يرى بنى جلده غرقى فى وحل مجتمعتهم، ولا يهرع لإنقاذهم أياً كان هذا النوع من الإنقاذ. فهي دعوة يوجهها من خلال شعره إلى الإنسان والإنسانية، وهي دعوة من نوع التوعية.

الرموز الإنسانية فى شعر نيما يوشيج

تناول نيما *دانيال النبي* والملك الإيراني *دارا* فى شعره. و*دانيال* عنوان إحدى قصائده التى أنشدها عام ١٣١٨ش، وقد أشار تحت العنوان أن القصة مقتبسة من التوراة. *دانيال* هو أحد أنبياء بنى إسرائيل عاش فى فترة ما بين نوح و*إبراهيم* عليهما السلام وهو من سلالة النبي *داود* (ع) أسره بخت النصر، وأرسله مع عدد من بنى إسرائيل إلى بابل، ولما خالف النبي *دانيال* الامتثال لبخت النصر فرموه لأسود مفترسة، فإذا به خرج من عندها سالماً دون أن تمسها تلك الأسود بسوء (ياحقى، ١٣٧٥ش: ١٨٨).

يقول الدكتور *براهنى* حول الرسائل الأربعة فى الشعر والأدب الفارسى الحديث: «هناك أربع رسائل أنشأت أربع مسؤوليات، ومن الأجدر أن تطلق على تلك المسؤوليات بالتسلسل المسؤولية الزمنية، المسؤولية المكانية، المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الأدبية وكان نيما يوشيج على دراية تامة بهذه المسؤوليات، وفى بعض الأحيان تناول نيما هذه المسؤوليات ليس فقط فى قصيدة واحدة بل وحتى فى سطر واحد وفى عبارة واحدة دمج بين هذه المسؤوليات» (براهنى، ١٣٨٠: ٦٤٥).

النزعة العلمانية فى رؤية نيما الشعرية

إن الرؤية النيماية كما يبدو من أشعاره هى ذات نزعة علمانية وقد انتبه بعض منتقدى الشعر المعاصر إلى هذا الموضوع. وقد انتقد نيما الأدب الكلاسيكى لعدم التفاته

إلى المادية وتطرقه إلى الموضوعات الروحية وبواطن الأمور. يتحدث محمد حقوقى عن رؤية نيما المادية ويول بحزم فى هذا الخصوص: «هو شاعر لا ينظر إلى هذا العالم إلا برؤية مادية، لأنه يرى العالم فإن ولا يعتقد بأصل بقائه، وهذه الرؤية تظهر جلية فى قصيدته «الأسطورة» التى يخاطب بها الشاعر *حافظ الشيرازى* قائلاً: أرى عياناً...»، فى الواقع إن سبب تركه الشعر التجريدى وإشارة موجزة إلى ما يتعلق بالماضى، وتعرفه على الشعر المادى وتناوله النظرة التفصيلية والجزئية إلى العصر الراهن، ناتجة عن هذه الرؤية» (حقوقى، ١٣٨٤ش: ١٧). يتحدث نيما فى قصيدته الرومنسية «الأسطورة» عن الحب المادى، منتقداً الشعر الغنائى القديم لإعطاء الحب لون الماورائى التجريدى وسمة عامة:

من بإمكانه أن يحبنى
وفى حبه لا ينتفع
الكل فى نشاط لكى ينتفع
ومن يقطف وردة لا بد أن يشتمها
الحب دون نصيب وحصاد خيال!
أيا حافظاً ما هذه الخدع والأكاذيب
التى تجريها على لسان النبيذ والقدح والنديم
فأنا لا أقتنع بالأنين الأبدى
ولا أؤمن بالحب الباقي
أنا أعشق من هو فانٍ

(يوشيج، ١٣٨٣ش: ٧١ و٧٢)

فى السطر الأخير "أنا أعشق من هو فانٍ" يتحدث الشاعر عن الحب الإنسانى المادى ويأتى مقابل حب *حافظ* وهو من نوع الحب الإلهى الباقي. من هنا يتجلى بوضوح فقدان النزعات العرفانية والماورائية فى أشعار نيما. فالطريق الذى سلكه نيما هو طريق يتناول القضايا الاجتماعية والإنسانية برؤية مادية وديوية. ومن مظاهر الرؤية الديوية فى شعر نيما أنه يركّز على المادية ويبتعد عن الأبحاث التجريدية والأمور الباطنية.

إن التفات الشاعر نيما إلى الأمور المادية والنزعة العلمانية أدى إلى انحسار دائرة المتكلم الوحده فى الشعر الكلاسيكى أكثر فأكثر، وبهذا قد ألقى نيما نوعاً من الواقعية

الفنية والأدبية على الشعر الفارسي، ما أدى إلى أن يرتبط الاجتماع والإنسان بالشعر الفارسي المعاصر ويخرج عن الذاتية والأمور الباطنية. في جانب آخر من من الأدب النيمائي، يمكن الإشارة إلى رمزيته التي تمتاز بالمادية أيضاً ولها دلالاتها الاجتماعية والإنسانية. وكما نعلم فإن الشعر الكلاسيكي الفارسي حفل بالرمزية قبل نيماء وذلك في مجال الأدب الصوفي. فقد كانت الرمزية الصوفية سائدة آنذاك في الشعر الفارسي الكلاسيكي، ونيماء بعد تعرفه على الأدب الأوروبي والآراء الأدبية الحديثة وسَّع الرمزية وساقها إلى الموضوعية والتجسيد متممة بالطابع الاجتماعي.

نتيجة البحث

دخل الماغوط الساحة الأدبية متناولاً القضايا الاجتماعية بسلاح الكلمة، ومن خلال الأنشطة الثقافية من أجل التوعية يتواصل مع الجمهور، ويعرفهم بحقوقهم ويدعوهم إلى القتال من أجل نيل الحقوق الضائعة والوصول إلى حقوقهم الحقة. هذه الدعوة لها جانب عام ومحدد في نفس الوقت، فهو بالإضافة إلى مواطنيه يدعو جميع البشر لمحاربة الظلم والعدوان ولكن دعوته كانت موجهة خاصة للبنان وفلسطين. يظهر الماغوط كناقذ اجتماعي وفي خطوة عامة من أجل التوعية ومحاربة الظلم والضغط، يتجه نحو الشعر وكتابة القصة والمسرحيات الساخرة.

يشكل الاتجاه الاجتماعي والإنساني القسم الأعظم من الشعر والأدب الكلاسيكي الفارسي لكنه لم يكن بالشكل الذي ظهر في الشعر الفارسي الحديث حيث يفتقد لمفهوم الالتزام الذي ظهر عند شعراء العصر الحديث، وفي مقدمتهم نيماء يوشيج حتى أصبح أحد مميزات شعره مقارنة بالأدب الكلاسيكي. ونيماء بتركيزه على الموضوعية بالطابع المادي في أعماله الشعرية، ساهم في توسيع دائرة المتكلم بالوحدة في الشعر الكلاسيكي وطوّر نوعاً من الواقعية الأدبية والفنية في الشعر الفارسي الذي جعل الشعر المعاصر متصلاً بالمجتمع والقضايا البشرية متحرراً من الذاتية والأمور الباطنية والتأملات الروحانية.

يمكن تطبيق مصطلح "جدلية المجازفة والحدز" في شعر كل من يوشيج والماغوط حيث يمكن لمس هذه الجدلية في نمطين من التعبير، الأول هو التصريح أي التعبير المباشر والواضح، وهو من مميزات الخطاب الإيديولوجي ونلمح منه مفهوم المجازفة وهذا

ما امتاز به الشاعر *الماغوط*، والثانى هو التلميح أى استعمال التوظيف الرمزي والإيحاء اللفظى وهو من خصائص الخطاب الشعري. فنلمح منه مفهوم الحذر وهذا ما لاحظناه فى شعر نيما عند تناوله الرموز الاجتماعية والإنسانية إلى جانب النمط الأول.

كما يمتاز شعر *الماغوط* وأدبه بروح المقاومة والتمرد، إلا أن أدب نيما الملتزم بالاتجاه الإنسانى والاجتماعى لا يستشف منه روح المقاومة، وإنما يدعو الإنسان أن يغيّر نفسه من الداخل ويحدث انقلاباً فى نفسه وداخله ونظرتة وإيديولوجيته للحياة الاجتماعية. بينما كلاهما يحملان نفس الرسالة وهى أن يعيد الإنسان كرامته وعزته ومن واجبهما أن يوصلا هذه الرسالة إلى العالم بأسره. فقد تحقق فى شعرهما أهداف الشعر الملتزم وهى الارتقاء بهذا المجتمع إلى واقع أفضل ومستقبل مشرق، جاعلين من الأدب رسالة إنسانية سامية هادفة تخدم البشرية جمعاء. يبدو أن المجتمعات المطالبة بالحرية والتي تمتاز بروح الديمقراطية يتجه أدبها نحو الاتجاه الاجتماعى والنزعة الإنسانية بكل ما تحملها الكلمتين من معانٍ ودلالات.

المصادر والمراجع

- أبو حاقّة، أحمد. ١٩٩٧م، الالتزام في الشعر العربي، بيروت: دار العلم للملايين.
آدم، لؤى. ٢٠٠١م، وطن في وطن، دمشق: دار المدى.
آرين پور، يحيى. ١٣٧٤ش، من نيما حتى عصرنا الحاضر، ط ٤، طهران: زوار.
براهنى، رضا. ١٣٨٠ش، ذهب في نحاس، طهران: زمان.
جعفرى، مسعود. ١٣٨٦ش، مسار الرومنسية في إيران، ط ١، طهران: دار مركز للنشر.
جوركش، شاپور. ١٣٨٥ش، فنون الشعر الفارسى، ط ٢، طهران: ققنوس.
حسن لى، كاووس. ١٣٨٣ش، أنواع الإبداع في الشعر الإيراني المعاصر، طهران: ثالث.
حقوقى، محمد. ١٣٨٤ش، شعر عصرنا الحاضر (نيما يوشيج)، ط ٦، طهران: نگاه.
حميديان، سعيد. ١٣٨٣ش، قصة الإحالة (مسار التحول في شعر نيما يوشيج)، طهران: نيلوفر.
زرين كوب، حميد. ١٣٥٨ش، المدخل إلى الشعر الفارسى الحديث، طهران: طوس.
صويلج، خليل. ٢٠٠٢م، اغتصاب كان وأخواتها، دمشق: دار البلد.
طاهباز، سيروس. ١٣٨٦ش، حول الفن والشعر والشاعرية، طهران: نگاه.
عمار المير، أحمد. ١٩٩٢م، المقالة النقدية عند الماغوط، ط ١، دمشق: دار العلم.
الماغوط، محمد. ١٩٩٨م، أعمال محمد الماغوط، دمشق: دار المدى.
الماغوط، محمد. ٢٠٠٦م، الأعمال الشعرية، ط ٢، دمشق: دار المدى.
الماغوط، محمد. ٢٠٠٦م، سياف الزهور، ط ٢، دمشق: دار المدى.
مختارى، محمد. ١٣٧٨ش، الإنسان في الشعر المعاصر، ط ٢ طهران: طوس.
وهبة، مجدى. ١٩٧٤م، معجم مصطلحات الأدب، ط ١، بيروت: دار القلم.
ياحقى، محمد جعفر. ١٣٧٥ش، التراث الأسطوري والتلميح القصصى في الأدب الفارسى، طهران: سروش.
يوشيج، نيما. ١٣٨٣ش و ١٣٨٦ش، المجموعة الشعرية الكاملة، طهران: نگاه.

المقالات

- شميسا، سيروس و حسين پور، على. ١٣٨٠ش، «الرمزية الاجتماعية في الشعر الإيراني المعاصر»،
مدرس العلوم الإنسانية، طهران، السنة الخامسة، رقم ٢٠، ص ٢٧-٤٢.
محمدى، على و پناهى، نعمت الله. ١٣٨٨ش، «العناصر الاجتماعية والإنسانية فى شعر نيما
يوشيج»، مجلة نامه پارسى، رقم ٤٨ و ٤٩، ص ٨٧-١١٣.

Bibliography

- Adam, Louay (2001). A homeland in the homeland, Damascus, Dar Mada.
- Areen Pour, Yahya (1374). From Nima until our present day, I 4, Tehran, visitors.
- Abu Hakka, Ahmed (1997). Commitment in Arabic poetry, Beirut, Dar Al-Ilm for millions.
- Brahani, Reza (1380). He went in brass, Tehran, Zaman.
- Jafari, Massoud (1386). The Path of Romance in Iran, I 1, Tehran, Dar Publishing Center
- Jurksh, Shaapur (1385). Art of Persian Poetry, I 2, Tehran, Qanus.
- Good for me, Cowus (1383). Types of creativity in contemporary Iranian poetry, Tehran, III.
- my rights, Muhammad (1384). The Poetry of Our Present Age (Nima Yathushij), I 6, Tehran, Nagah.
- Hamidian, Said (1383). The Transformation Story (The Path of Transformation in Nima Yoshig's Poetry), Tehran, Nilover
- Zerin Kub, Hamid (1358). Introduction to Modern Persian Poetry, Tehran, Tus.
- Shamisa, Sirus, Hussein Pour, Ali (1380), "Social Symbolism in Contemporary Iranian Poetry", Teacher of Human Sciences, Tehran, Fifth Year, No. 20, pp 27-42.
- Sweileh, Khalil (2002). Rape and her sisters, Damascus, Dar al-Balad.
- Tahbaz, Sirus (1386). About Art, Poetry and Poetry, Tehran, Najah.
- Ammar Almair, Ahmed (1992). The Monetary Article at Al-Maghout, I 1, Damascus, Dar Al-Alam.
- Almagout, Mohammed (1998). Works of Mohammed Al-Maghout, Damascus, Dar Mada.
- Mohammadi, Ali, Pnahi, Nemat Allah (1388). "Social and Human Elements in Nima Yoshig's Poetry", Nama Parsi, No. 48 and 49, pp. 87-113.
- Mokhtari, Muhammad (1378). Human in Contemporary Poetry, I Tehran II, Tus.
- Wahba, Majdi (1974). Glossary of Literary Terms, 1, Beirut, Dar Al Qalam.
- Yahqi, Mohammed Jaafar (1375). Legendary heritage and narrative hint in Persian literature, Tehran, Sarush.
- Yoshig, Nima (1383 Sh and 1386 Sh). The Complete Poetic Collection, T. Tahbaz, Syrus, Tehran, Nagah.

الإلتزام الإجتماعى فى شعر نيما يوشيج ومحمد الماغوط / ١٠١
